الانتكاس

(أسبابه – علاجه – وسائل الثبات)

(الجزء الأول)

إن الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

_قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102)﴾[آل عمران]

_قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)﴾[النساء]

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)﴾[الأحزاب] وبعد،

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ص وشر الأمور مُحدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

- أصول وقواعد: لابد من توضيحها قبل أن نشرع في الحديث عن موضوع الحلقة حتى تستقر النفوس ولا يحدث في القلب اضطراب مع كل حادثة أو فتنة تقع:

1- (نحن في زمن الفتن) كلمة تتكرر على الألسنة كثيرًا.

هذه الكلمة ليست صحيحة، فالفتن أمر يحدث باستمرار فيشمل كل زمان وكل مكان، فلم يخُص الله سبحانه وتعالى بالفتن زمان دون زمان أو مكان دون مكان أو حتى أشخاص دون أشخاص بل أن الفتنة عامة تشمل الجميع.

لقوله تعالى: ﴿الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3)﴾[العنكبوت]

- **الشاهد:** كلمة "الناس": اسم جنس علم على جميع الناس.

_فلن يكون هناك أُناس يُفتنون دون آخرين، وفي هذا إثبات لعموم الفتنة وشمولها لجنس الإنسان.

ثم قال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: فبيَّن أن الفتنة كانت من قبل وستكون أيضًا من بعد.

فإذا كانت الفتن تشمل كل زمان وكل مكان وكل الناس فلماذا يحدُث كل هذا الهلع عندما تقع؟؟

كل هذا الهلع يحدث نتيجة عدم الفهم عن الله عز وجل، فكل زمان وكل مكان تحدث فيه فتن وهذا أصل من الأصول التي ينبغي أن تكون راسخة ثابتة في قلب المسلم.

– لماذا يُنزل الله سبحانه وتعالى الفتن والابتلاءات على العباد في كل وقت؟

كما جاء في الآيات للامتحان والاختبار وليميز الخبيث من الطيب وليظهر الكاذب من الصادق.

إذن الفتنة هي عبارة عن سنة كونية ماضية لم تقف ولن تنتهي أبدًا حتى تقوم الساعة.

– ترديد الخطأ يؤسس لاعتقاد خاطئ.

فتكرار كلمة (نحن في زمن الفتن) دفع الكثيرين منَّا إلى تصديق ذلك وبالتالي اعتقدوا أن الفتن لم تنزل إلا في زماننا هذا أما الأقوام السابقين فلم يُفتنوا، هذا خطأ ويُعد خللًا في الاعتقاد فالكل يُفتن ولكن تختلف صور الفتن،

– مثال: فتنة العلماء في السابق، لقد كان يُؤتى بالعالم فيُختبر في دينه بماذا؟ إذا لم يتحدث بما يُرضي السلطان ويُوافق هواه فإنه كان يُسجن

ويُضرب ويُعذَّب كما فُعِل بالإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم.

أما اليوم فإن الفتنة واقعة أيضًا للعلماء ولكن اختلفت صورتها فما هي؟

الفتنة تتمثل اليوم في عرض المناصب و الكراسي فيبيع دينه ويشتري عرض من عروض الدنيا، وذلك بأن يقول ما يُخالف أوامر الشرع أو ما يُوافق هوى الحاكم، فإذا قَبِلَ ذلك سقط وإذا لم يقبل ثبت على الحق، وأيًا كانت صورة الفتنة إلا أنها موجودة في كل زمان وكل مكان،

ولو أننا نظرنا إلى الفتن التي كان يتعرض لها الناس فيما سبق لوجدنا أنهم كانوا يُفتنون بصورة أشد وأكثر مما يتعرض له الناس الآن، فقد كان يؤتى بالرجل.

حَدَّثَنَا بَيَانٌ، وَإِسْمَاعِيلُ، قَالاَ: سَمِعْنَا قَيْسًا، يَقُولُ: سَمِعْتُ خَبَّابًا، يَقُولُ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: «لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ المِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ»، زَادَ بَيَانٌ: «وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ» **أخرجه البخاري(3852)**.

فأي فتنة هذه التي يمكن أن يتعرض لها إنسان!

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا وَجَدْتُ رَائِحَةً طَيِّبَةً فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا فَقُلْتُ: مَا شَأْنُهَا؟ قَالَ: بَيْنَا هِيَ تَمْشُطُ بِنْتَ فِرْعَوْنَ إِذْ سَقَطَ الْمُشْطُ مِنْ يَدِهَا فَقَالَتْ: بِسْمِ اللهِ، فَقَالَتْ بِنْتُ فِرْعَوْنَ: أَبِي فَقَالَتْ: لَا وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّكِ وَرَبُّ أَبِيكِ اللهُ، قَالَتْ: وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرَ أَبِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَأُعْلِمُهُ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَعْلَمَتْهُ فَدَعَا بِهَا، فَقَالَ: يَا فُلَانَةُ، أَلَكِ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَخَذَ أَوْلَادَهَا يُلْقُونَ فِيهَا وَاحِدًا وَاحِدًا، فَقَالَتْ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، قَالَ: وَمَا هِيَ؟، قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ فَتَدْفِنَّا جَمِيعًا، قَالَ: وَذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا فَلَمْ يَزَلْ أَوْلَادُهَا يُلْقُونَ فِي الْبَقَرَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ابْنٍ لَهَا رَضِيعٍ فَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجَلِهِ فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّهِ، اقْتَحِمِي، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ ". قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَابْنُ مَاشِطَةِ فِرْعَوْنَ. «وَاللَّفْظُ لِحَدِيثِ أَبِي عُمَرَ الضَّرِيرِ».

المعجم الكبير للطبراني(12279).

يُلقى بأبناء المرأة في النار الواحد منهم تلو الآخر ثم تُؤمر هي بإلقاء نفسها في النار ومع كل ذلك لا تترك دينها، أين نحن من النساء اللاتي كنَّ يتعرضن للتعذيب وأين نحن من الرجال الذين كانوا يُسلخون كما فُعِلَ بابن النابلسي وغيره عندما سلخه اليهودي وهو حي، أين نحن من هؤلاء القوم الأتقياء الأطهار الأخيار، فبعد كل ما تعرضوا له لم يضلوا و لم يضعفوا ويستكينوا ولكنهم ثبتوا على الحق.

- **الشاهد:** أن الفتنة موجودة بل على العكس في السابق كانت الفتن أشد من الآن، فمَن منَّا يمكن أن يتحمل أن يُسلخ وهو حي أو يُلقى أبنائه أمام عينيه في النار أو أن يُوضع المنشار على مفرق رأسه فيُشق

_بعد كل هذا: هل مازلنا نُصدق هذه الكلمة التي نطقت بها الألسنة وصدقتها العقول وترددت في جميع الأوساط الدينية (نحن في زمن الفتن)

_الكل مُعرَّض للفتنة ولكن كل شخص يُفتن بحسب حاله وبحسب ما يتعلَّق به من أشياء، وهذه أيضًا سنة ماضية فالرب سبحانه وتعالى يجعل ابتلائه للعبد في الأشياء التي لها مكانة عنده أو التي يتعلَّق بها(أعز الأشياء، الأشخاص على الإنسان_المال).

فإذا أراد الله الابتلاء والفتنة فإنه سيختبر الشخص في أعز الأشياء لديه حتى يظهر الكاذب من الصادق، فإذا ما قيل: (ولكن الله سبحانه يعلم كل هذا)، نعم بالفعل سبحانه وتعالى يعلم، ولكنه أراد أن يُظهر هذا العلم للخلائق وحتى لا تتزعزع العقيدة عند البعض فيظن بالله ظن السوء.

2- عدم رسوخ بعض المعاني والمعتقدات في القلوب رغم ترديد الألسن لها.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (46)﴾[فصلت]

وقال سبحانه: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)﴾[الكهف]

كما أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن: الله عز وجل لا يظلم مثقال ذرة.

من السهل أن يقرأ الإنسان آيات الله عز وجل ويُردد هذه الكلمات لأن التنظير أمره سهل، ولكن ينبغي أن تكون هذه الكلمات عقيدة راسخة في جذر القلوب، فإذا رسخت هذه العقيدة في قلب العبد فسوف يؤدي ذلك إلى اتهامه لنفسه وعقله بعدم الفهم (إذا ما رأى بعينيه موقف لا يستطيع تفسيره أو أن ظاهره الظلم)،
أو أن هناك بعض الخبايا فالله سبحانه وتعالى يُقابل عباده بالستر ولكن الناظر لا يرى حقيقة الأمور.

ولهذا فعند ظهور فتنة ما أو انتكاس لشخص كان يسير على الطريق المستقيم فلا نتساءل لماذا رده الله ولم يُثبته على الطريق، فهذا انتكاس وما ربك بظلام للعبيد، تلك قاعدة وأصل من أصول الاعتقاد التي لو اهتزت لحظة لدى الإنسان لعوقِب عقابًا شديدًا لأنه أساء الظن برب العالمين، وبالتالي فإنه ينبغي أن تكون هذه القاعدة ثابتة في جذر قلب الشخص ثبات الجبال الرواسي(ولا يظلم ربك أحدًا)، ولو أن شيخ الإسلام افتُتِن فلابد أن نعلم أن هناك أسباب لهذا الانتكاس، قد لا يراها الناس ولكنها موجودة _ ومهما كان ظاهر المشهد بالظلم فإياكم أن تسيئوا الظن بربكم وتتهموه بالظلم ولو لِلَحظة، وهذا الاتهام لن ينطق به أحدٌ بلسانه ولكن سيقوله بلسان حاله وقد ينطق به قلبه والله سبحانه مُطَّلِع على القلوب لأنه علام الغيوب، كما أن الظن ولو للحظة في أن الله قد يظلم العبد يؤدي إلى انتكاس صاحب هذا الظن.

ومن الأسباب التي يمكن أن تصرف عن الذهن اعتقاد أن الله عز وجل يظلم عباده ولو مثقال ذرة.

أَنَّ أَبَا رَافِعٍ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ" **أخرجه البخاري(7554).**

نحن متفقين على أن رحمة الله عز وجل سبقت عذابه وهو الغفور الرحيم الودود الذي يتودد إلى عباده بكل السُبل، وعلينا أن نسمع ونقرأ ونبحث في هذه الأسماء كثيرًا لأنها من أعظم الأمور التي تُثبت الإيمان في القلوب.

ربنا هو الودود الذي يتودد إلينا بأنواع النعم والعطايا، حتى نحمده ونشكره وندعوه وهو الرحمن الرحيم الغفور الغفار، والغفار يعني: أنه يُكثر المغفرة فتكون المغفرة تلو المغفرة، فيغفر مراتٍ بعد مرات وزلاتٍ وهفوات ولا يُعاجل عباده بالعقوبات فهو الغفور، فيُخطئ العبد مرات ومرات وأوقات بعد أوقات ولكن الله يغفر ويحلُم ويُعطي ويعفو لأنه هو العفو (ذنوب العباد مستمرة آناء الليل وأطراف النهار ولكن الغفور يغفر، ويُقابل إصرارهم على المعاصي بالحلم لأنه الحليم).

فإذا ما وجدنا شخص قد انتكس فلابد أن نربُط ذلك بأسماء الله الحسنى وصفاته العُلى.

– مثال: إذا انتكس أحد الدُعاة (داعي أو داعية) هنا لابد أن نسأل أنفسنا أين الرحمن الرحيم؟ وأين العفو الغفور؟ وأين الشكور الودود؟ وأين الكريم المنان؟ الأسماء موجودة وهي دالة على صفاته كما أن لها آثار ولابد،

فالرحمن يرحم العباد،والشكور يُعطي الكثير على العمل القليل، والكريم يُعطي بغير حساب، والعفو يعفو ويتجاوز عن الخطأ والسيئة ولا يكتبها على العبد، والغفور يكتب ولكنه يغفر الزلات، فهل حدثت كل هذه الآثار مع الداعي أو الداعية الذي انتكس؟ لقد نال هذا الداعي نصيبه من آثار هذه الأسماء(ولو قُلنا أن هذه الآثار كانت مُعطلة معه لكان هذا ضلال) فأسماء الله عز وجل لها آثار وهذه الآثار تعمل في كل وقتٍ وحين، ولكن أين ذهبت هذه الآثار بالنسبة لهذا الداعي؟ لابد أن نفهم عن الله فهمًا جيدًا حتى لا يحدث للبعض منَّا انتكاس.

– أولًا: آثار كل أسماء الله عز وجل وقع مقتضاها مع هذا الداعي الذي انتكس أو الداعية وكانت أيضًا مع الملتزم الذي حلق لحيته والمنتقبة التي خلعت نقابها ومع كل منتكس رجع عن عمل الخير الذي كان يؤديه _ومع كل هذا فقد انتكسوا فيا تُرى ما هي أسباب هذا الانتكاس؟ وما هو الأمر العظيم الذي يكمن وراء ذلك الانتكاس ؟

– أسباب الانتكاس:

قلنا أن الفتن موجودة في كل زمان ومكان، وأن الله ليس بظلامٍ للعبيد، كما أن آثار أسماء الله وصفاته تعمل في كل وقت وحين فلماذا بعد كل هذا ينتكس البعض؟ لماذا يظل الإنسان سائرًا على الطريق أعوامًا وأعوام ثم يتراجع ويسقط في بئر الانتكاس وينحرف عن الطريق بالكلية.

– مثال: امرأة كانت جميلة جدًا بمعنى الكلمة فارتدت النقاب وظلت ترتديه خمسةً وعشرين عاماً ثم خلعته بعد أن تجاوز عمرها الخمسين، مَن يرى هذا المشهد وهو لا يفهم عن الله سبحانه فإنه سيتهم ربه حتمًا بالظلم ولو لم يتفوه بالكلمة صراحةً، وقد يحدث عنده شك في الدين وربما خلل أو اضطراب، وقد يصل به الأمر للانتكاس هو الآخر.

– والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: لماذا سقطت وانتكست بعد كل هذا وما هي قصتها؟ لابد أن نعلم أولًا أن الرب سبحانه وتعالى لم يظلم هذه المرأة بل أنه كان حليمًا وعفوًا وغفورًا ورحيمًا وكريمًا معها.

– أول سبب للانتكاس وأعظمه على الإطلاق هو:

1– عدم تحقيق العبودية لله عز وجل:

والعبودية لها ركنان[الحب بصدق_الخوف بصدق] وهو ما اصطلح عليه العلماء بقولهم(كمال الحب_كمال الذل) فإذا ما أصاب الخلل أحد الركنين فإن الإيمان يختل هو الآخر، وإذا اختل الإيمان فإن صاحبه مُعرَّض للانتكاس.

فبالحب تنشط النفس لفعل الطاعات والواجبات ثم المُستحبات وتلك هي أهمية الحب،

- الناس في حب الله أقسام:

- القسم الأول: المعرضون عن المحبة بالكلية - فهؤلاء لم يحبوا الله بالكلية فأعرضوا تمامًا- وهم قطاع كبير جدًا من المسلمين المعرضين تمامًا.

قال فيهم جلَّ جلاله: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (1)﴾[الأنبياء].

_وهؤلاء هم الذين نراهم في الشوارع وعلى المقاهي فلا صلاة ولا صيام ولا ذكر ولا حجاب بل العُري وعدم الإقبال هو سمتهم، هؤلاء أعرضوا بالكلية ولم يبق معهم من الإسلام إلا الاسم، هذا الفريق انعدمت المحبة من قلبه فلم يُحب الله قط فأعرض بالكلية،

- القسم الثاني: المحبون لله محبة ضعيفة.

فالمحبة ليست قوية في قلبه ولكنه لا يكره الطاعة، وهذا هو حال أكثر المسلمين وأكثر طُلاب العلم الذين ما زالوا في بداية الطريق.

- **صورة هذا الإنسان:** هو يصلي ويصوم ويقرأ القرآن ويحضر مجالس العلم، هذا النوع ليس مُحب ولكنه بالرغم من ذلك ليس كارهًا فإذا قام للطاعة قام إليها ليؤديها بلسانه وبدنه وليس بخشوع القلب وحضور العقل، وهذا القسم هو أكثر الأقسام التي يمكن أن يصل به الشيطان إلى الدخول في مسألة الانتكاس.

- مثال يُوضح المعنى: لو أن هناك صاحب شركة قام بوضع قوانين للموظفين(حضور_انصراف_خصم من الأجر مع الغياب_وهكذا)فإن الموظف الذي يخضع لهذه القوانين ويقوم بتنفيذها خوفًا من عقاب صاحب الشركة يكون خائف وليس محبًا، فيخضع وينقاد ولكن بناء على الخوف فقط وهذا خلل ويوشِك صاحب هذا الخوف أن يسقط.

– **موظف آخر**، يقوم بتنفيذ الأوامر لا لخوفه ولكن لأنه يعلم أن هذا هو واجبه، وهذا قليل جدًا إذا ما قُورن بما قدمه له صاحب العمل من مكافآت وأجر وتيسير للعمل وإسراع إلى حل مشاكله إذا تعرض لأي مشكلة وعطاءات كثيرة جدًا، هذا الموظف يشعر بمدى فضل صاحب العمل عليه ولهذا سارع إلى تنفيذ الأوامر ولكن بحب، هذا النوع نجده يبذُل أقصى ما في وسعه مُحاولًا إرضاء صاحب العمل(هذا هو حال المحب)،

وهناك فرقٌ كبير بين هذا وسابقه.

أكثر المسلمين الآن يدخل تحت مظلة القسم الأول وهو الذي يعمل خوفًا لا حُبًا.

ولو أنهم حققوا الحب لكان لذلك آثار تتمثل في العمل بطاعة الله حبًا له ورغبةً في العمل(فيُحب الصلاة _ويسعد وهو صائم_وينشرح صدره عند سماعه لدروس العلم) هذا الصنف المحب اكتمل الإيمان في قلبه، وليس للشيطان سلطان عليه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (42)﴾[الحجر]

فعباد الله الذين حققوا العبودية وتلبسوا بها على الوجه الصحيح لا يستطيع الشيطان أن يجد لهم مدخل حتى يُسيطر عليهم.

فهل معنى ذلك أن هؤلاء لا يُخطئون؟ ليس هذا هو المعنى لأنهم بشر والخطأ أمر وارد بالنسبة للبشر.

ولكن المقصود هو: السيطرة الكاملة التي تجعله يتحكم في الإنسان فيتحرك وفق هواه وإتباعا لأوامره.

أما المُحب لله فليس للشيطان قُدرة على تحريكه لأنه ليس له سلطان عليه ولا سبيل له إليه، وهذا هو أعظم ما يناله العبد إذا تحقق الحب في قلبه لله.

- فإذا حقق الإنسان الحب لله فسيكون لذلك علامات:

منها:

- تقديم طاعة الله وحبه على كل ماسواه.

فيؤثر حبه على غيره ولا يؤثر حب غيره عليه، فإذا ما تعارضت محبة الله مع أي شيء فإنه يُغلِّب محبة الله على محبة هذا الشيء مهما كانت مكانته عنده.

قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)﴾[العنكبوت]

- أقوال العلماء في تفسير الآية:

- من الأقوال التي تستريح وتميل النفس إليها: هي أن الكثير من المسلمين يقومون إلى الصلاة قيام الخائف لا المُحب،

وبعد ذكر الصلاة قال سبحانه: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

فإذا ما جلس الإنسان ليذكر الله عز وجل من غير أن يؤمر بذلك فإن ذكره هذا يكون نتيجة خروج المحبة من القلب (فالمحب الصادق يُكثِر من ذكر محبوبه).

- **وقال أحد السلف الصالح:** لا طريق أقرب إلى الله من العبودية ، ولا حجاب أغلظ من الدعوى ، ولا ينفع مع الإعجاب والكبر عمل واجتهاد ، ولا يضر مع الذل والافتقار بطالة ، يعني بعد فعل الفرائض.

– فما المقصود بذلك:

يقول:

1– لا طريق أقرب إلى الله من العبودية: أي أن أقرب طريق إلى حب الله سبحانه هو تحقيق العبودية،

2– وأغلظ حجاب يحول بين العبد وربه هو **الدعوى**: أي الكلام الكثير بلا عمل (فيتكلم بحب الله ولا يعمل على تحقيق العبودية له بل هو بعيد كل البُعد عن ذلك).

3– ولا ينفع مع الإعجاب والكبر عمل واجتهاد: البعض منَّا يجتهد في الأعمال الظاهرة وبداخله عُجب ويعتقد أنه قدَّم لله ما لم يُقدمه أحد، وعمل ما لم يعمله أحد، هذا الصنف لا تُجْدِي معه عبودية مُطلقًا ولا تصح له، _بل على العكس: فإن الافتقار والذل والإحساس بالتقصير المستمر هو أقرب للقبول عند الله سبحانه وتعالى، ولن يضُر الشخص تقصيره في الأعمال(في غير الفروض)إذا كان يشعر بالذل والانكسار والافتقار إلى الله.

– **وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول:**

"من أراد السعادة الأبدية، فليلزم عتبة العبودية".

فإذا أراد الإنسان أن يسعد في الدنيا و الآخرة فعليه أن يلزم عبودية الله جل جلاله فلا تنفك عنه (تحقيق العبودية لله).

– **يقول شيخ الإسلام أيضًا:**

"لن تصح لك عبودية ما دام لغير الله فيك بقية".

هذه الكلمة تحتاج إلى أن يُوضع تحتها خطوط كثيرة لأنها من الأسباب المُؤدية إلى الانتكاس.

يقول: لن تصح لك عبودية .....،

_فهل معنى ذلك: أنه لا يصح أن أحب غيره سبحانه؟ بالتأكيد ليس هذا هو المعنى المقصود لأن الإنسان يُمكن أن يُحب أبنائه وأقاربه وزوجته والدنيا بأسرها،

_أما مقصد شيخ الإسلام بكلماته تلك فهو: أن لا يبقى في قلب العبد محبة لأحد تعلو على حب الله أو أن تُساويه، فإذا وجدت محبة لأحد تعلو على محبة الله أو تساويها فهذا مما لا ينفع لأن صاحبها مطرود،

_الشاهد: أنه يُمكننا أن نحب ما نُريد ومَن نُريد بشرط أن لا تُقدم هذه المحبوبات على حب الله لأن مَن يفعل ذلك لن تصح له عبودية.

– **سؤال:** كيف لنا أن نعلم بتساوي الحُبين أو بعلو أحدهما على الآخر في القلب؟

نعلم ذلك عند وقوع الفتن وعند نزول الابتلاءات، فهنا يظهر ما في قلب الإنسان من محبة لله وهل في القلب لغيره معه بقية أم لا؟

نزول الابتلاء والاختبار أمر لابُد من وقوعه، وساعة أن يحدُث ذلك يظهر ما في القلب ويُقدم حب الله أو حب الشيء الآخر(الأولاد الزوج _الزوجة_النفس_المال_أي شيء)،

_فأي محبوب من هذه المحبوبات إذا لم يكتمل حُب الله في قلب الشخص فإنه ساعة الفتنة يُقدم حب هذه الأشياء على حب الله عز وجل ويكون بذلك قد دخل في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165)﴾[البقرة]

وعلى الإنسان أن يتكلَّف تلاوة القرآن ويتكلَّف الأذكار ويتكلَّف الطاعة على الدوام عسى الله أن يجعله في زمرة المتقين المحبين.

– **وقال هرم بن حيان (وهو أحد السلف الصالح):** المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل إليه وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة.

_المؤمن إذا عرف ربه أحبه: إذن نقص المحبة يأتي من نقص المعرفة
_وإذا أحبه أقبل إليه: وتلك هي علامة المحبة، الإقبال إلى الله بالكلية (القيام بالطاعات).

قد يقول قائل وهل مَن انتكس لم يكن مُقبل على الله بالطاعات؟
فيكون الرد أنه: وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه (أطاع على الوجه الصحيح) لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة، ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة (أي الفتور على أمر الآخرة).
وهذا يعني: أن الإنسان إذا أحب الله سبحانه بعد أن عرفه فإنه سيُقبل عليه بالطاعة، وإذا أطاعه على الوجه الصحيح الذي أمره به فإنه سيجد حلاوة لهذه الطاعة وحلاوة في الإقبال إليه إذا تذوقها فلن يتخلى عنها ولن ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة،
– **ملحوظة:** كل مَن انتكسوا سبق لهم النظر إلى الدنيا بعين الشهوة فمنهم مَن انتكس لاحتياجه إلى المال، ومنهم مَن انتكست لأنها تُريد أن تحتفظ بالزوج الذي سيتركها إذا بقيت على التزامها، ومنهم مَن انتكس

نتيجة الصُحبة التي تُحيط به، هؤلاء التزموا ولكنهم ظلوا ينظرون إلى الدنيا بعين الشهوة (الرغبة فيها رغم محاولة البُعد عنها)وبالتالي فهم مُعرَّضون للانتكاس، ومَن لم ينتكس من هؤلاء رغم نظرته تلك للدنيا فسينتكس ولابد ولكن لم يحِن وقت انتكاسه بعد.

_لقد جعل الله عز وجل للدنيا مكانة معينة وعلينا أن لا نُغير هذه المكانة

_فالدنيا مثل الخادمة البسيطة التي ليس لها أي قدر ولكن مَن تعمل عندهم أعطوا لها قدرًا فمدحوها وأعلوا شأنها وأكرموها وبدلوا الأدوار فخدموها بدلًا من أن تخدمهم، وهنا صدقت الخادمة نفسها فبدأت تتعالى على أصحاب العمل، وهكذا يكون الحال إذا أعطينا للدنيا أكثر من حقها ووضعناها في مكانة ليست لها،

_فأنا أريد (أحسن منزل_أحسن سيارة_أحسن هاتف_ لابد أن يظل المستوى الذي أعيش فيه كما هو_وهكذا) وأي ابتلاء يخص أمور الدنيا تكون نتيجته هي الإحساس بأن الدنيا قد أظلمت

_لقد نظرنا للدنيا بعين الشهوة وبالتالي فلن تستقيم أحوالنا فيها ولن تقوم لهذا العبد الناظر إلى الدنيا بنظرة الشهوة قائمة أبدًا.

– فمتى نترك النظر إلى الدنيا بعين الشهوة؟

عند تحقيق الركن الأول: ألا وهو حب الله عز وجل، هذا الحب هو أصل النجاة من الفتن في الظاهر والباطن، لأن العبد إذا أحب الله أحبه الله، ومَن أحبه ربه فلن يستطيع أحد أن يضُره أو ينال منه أو أن يجد سبيل للوصول إليه وإضلاله أو محاولة إسقاطه (لا والله ولن يكون).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ " أخرجه البخاري(6502).

_ وليا: هو العالم بدين الله تعالى المواظب على طاعته المخلص في عبادته،

_آذنته بالحرب: أعلمته بالهلاك والنكال، – مما افترضت عليه: من الفروض العينية وفروض الكفاية، – كنت سمعه...: أحفظه كما يحفظ العبد جوارحه من التلف والهلاك وأوفقه لما فيه خيره وصلاحه وأعينه في المواقف وأنصره في الشدائد، – استعاذني: استجار بي مما يخاف

_ ما ترددت: كناية عن اللطف والشفقة وعدم الإسراع بقبض روحه،

– مساءته: إساءته بفعل ما يكره.

تُصبح كل جوارح الشخص مِلكًا لربه إذا أحبه، فلا يُسمعه إلا ما يُرضيه ولا يجعله يسير إلا إلى المكان الذي أحب له التواجد فيه، وإذا ذهب إلى مكان يُغضِب الله أو سمع ما يُغضب الله فستنزل عليه العقوبة مباشرةً حتى يعلم أنه في هذا الوقت قد سمع ما يُغضب الله، وهذه هي تربية الرب للعبد المُخلِص، فيعود ويتوب ويستغفر وهكذا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، وليس المقصود بذلك أننا لن نُخطئ فنحن بشر ولكن المقصود هو وجود إحاطة وعِناية من الرب سبحانه وتعالى للعبد الذي يُحب ربه.

– أصل أصول العِصيان ومنبع كل شر وغلق باب كل خير:

(انعدام الخوف من القلب).

– سقوط الركن الثاني من أركان العبودية **(الخوف)**

_فالإنسان إذا خاف الله حقًا وخشي منه ما استطاع قط أن يعصيه على وجه الإصرار (المعصية واقعة ولابد فنحن بشر)لكن المقصود هو المعصية الواقعة على وجه الإصرار، فإياكم أن تتصوروا أن مَن خلعت نقابها أو أن مَن انتكس جاء انتكاسه هكذا من غير مُقدمات أبدًا...

فسقوط ركن من أركان العبادة يؤدي إلى سقوط العبادة بالكلية لأنه من المستحيل أن يسقط الخوف ثم يستقيم الحب، وهذان هما ركنا العبادة فإذا سقط أحدهما فلن يستقيم الآخر لوجود التلازم بين الطرفين.

قال تعالى ثناءً على عبده زكريا: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90)﴾[الأنبياء]

– فالرغبة والرهبة، الخوف والحب بينهم تلازُم، ومن المستحيل أن يسقط أحدهما ويظل الثاني قائمًا، فلو سقط الخوف فسيسقط الحب ولابد، وإن كان من الممكن أن تسقط المحبة ويكون الخوف قليل، لكن العكس لا يحدث، لا يمكن أن يدعي شخص أنه يُحب الله ولكنه لا يخافه، قد يكون خائفًا وحبه ضعيف.

_إذن فإن أصل أصول العصيان هو انعدام الخوف من الله، فما من معصية ارتكبت على الأرض إلا بضعف الخوف من الله،

_ولقد وصل الصحابة رضي الله عنهم إلى القمة في الخوف والخشية والمراقبة فكان أحدهم لا يُحسن معصية الله، فوصلوا من شدة الخوف أنهم لا يعرفون كيف يعصون الله (إلا الهفوات والزلات البشرية)

أما الذين انعدم الخوف من قلوبهم فيدخلوا في قول الله تعالى:

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13)﴾[نوح]

- مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا: أي لا تخافون عظمته ولا تخافون من بأسه ونقمته.

_وهو سؤال يحمل الإنكار الشديد على العباد ممن لم يُعظِّم الله ومن لم يخف من الله، إنكار شديد على القلوب التي ذهب منها الخوف من الله فتجرأت عليه بالمعاصي أناء الليل وأطراف النهار بكل سهولة ويُسر

_فإذا عظَّم الإنسان ربه وثبت الخوف منه في قلبه ظهرت عليه آثار الخوف من الله جلَّ جلاله، فالخوف سبب في انكفاف الناس عن المعاصي وعن انتهاك حُرِمات الله.

_الناس تنتهك حرمات الله لانعدام الخوف في القلوب فنرى المجالس وقد مُلئت بالغيبة والنميمة، فأين الله وأين مراقبته سبحانه وتعالى حال ارتكابهم لتلك المعاصي، وحدِّث عن ارتكاب المعاصي ولا حرج، والسبب في ذلك كله هو انعدام الخوف من الله أو ضعفه.

_أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: عندما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وخرجت الصديقة ابنة الصديق للإصلاح بينهما وحقن دماء المسلمين،

_ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا أَتَتْ عَلَى الْحَوْأَبِ سَمِعَتْ نُبَاحَ الْكِلَابِ، فَقَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةً، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قَالَ لَنَا: «أَيَّتُكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ؟»، فَقَالَ لَهَا الزُّبَيْرُ: تَرْجِعِينَ عَسَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُصْلِحَ بِكِ بَيْنَ النَّاسِ. مسند أحمد(24654)

_ عندما تذكرت أم المؤمنين حديث رسول الله ﷺ علمت أنها قد ارتكبت خطأً بالرغم من أنها كانت بخروجها هذا ترغب في الإصلاح بين الفريقين المتنازعين، لقد اجتهدت وأخطأت(فهي من علماء الصحابة) فلم يكن ينبغي لها أن تخرج، وبعد حدوث الفتنة والاقتتال بين المسلمين عادت أم المؤمنين وجلست في بيتها تبكي كلما تذكرت هذه الواقعة حتى يبتل خمارها

_ عَنْ ذَكْوَانَ مَوْلَى عَائِشَةَ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ لِابْنِ عَبَّاسٍ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ تَمُوتُ وَعِنْدَهَا ابْنُ أَخِيهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: هَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكِ وَهُوَ مِنْ خَيْرِ بَنِيكِ، فَقَالَتْ: دَعْنِي مِنَ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمِنْ تَزْكِيَتِهِ، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ فَقِيهٌ فِي دِينِ اللَّهِ، فَأْذَنِي لَهُ لِيُسَلِّمَ عَلَيْكِ، وَلْيُوَدِّعَكِ، قَالَتْ: فَأْذَنْ لَهُ إِنْ شِئْتَ، قَالَ: فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ ثُمَّ سَلَّمَ وَجَلَسَ، فَقَالَ: " أَبْشِرِي يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَكِ وَبَيْنَ أَنْ يَذْهَبَ عَنْكِ كُلُّ أَذًى وَنَصَبٍ – أَوْ قَالَ: وَصَبٍ – وَتَلْقَى الْأَحِبَّةَ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ، أَوْ قَالَ أَصْحَابَهُ، إِلَّا أَنَّ يُفَارِقَ رُوحُكِ جَسَدَكِ "، فَقَالَتْ: وَأَيْضًا، فَقَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ: " كُنْتِ أَحَبَّ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَيُحِبُّ إِلَّا طَيِّبًا، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَرَاءَتَكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، فَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ مَسْجِدٌ إِلَّا هُوَ يُتْلَى فِيهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَسَقَطَتْ قِلَادَتُكِ لَيْلَةَ الْأَبْوَاءِ فَاحْتَبَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنْزِلِ وَالنَّاسُ مَعَهُ فِي ابْتِغَائِهَا، أَوْ قَالَ: فِي طَلَبِهَا حَتَّى أَصْبَحَ الْقَوْمُ مِنْ غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا} [النساء: 43] الْآيَةَ. فَكَانَ فِي ذَلِكَ رُخْصَةٌ لِلنَّاسِ عَامَّةً فِي سَبَبِكِ، فَوَاللَّهِ إِنَّكِ لَمُبَارَكَةٌ "، فَقَالَتْ:

دَعْنِي يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مِنْ هَذَا، فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ لَوْ أَنِّي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا" **فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل(1639)**.

_لقد أراد ابن عباس أن يُذكر أم المؤمنين بمناقبها، ويُهون عليها لأن سكرات الموت شديدة والإقبال على الله صعب ورؤية ملك الموت من أشد ما يكون، لقد ظل ابن عباس يُحدثها عن مناقبها وهي لا تُريد أن تسمع فهي خائفة لأنها لا تدري ما سيُفعل بها، هؤلاء هم مَن حققوا الخوف أما نحن فإننا ندعيه، لأننا لا نخاف على الوجه الصحيح كما أننا ندعي الحب ولكننا لا نُحب بالطريقة التي تُرضي المحبوب، لم نُحقق العبودية ولابد أن نفيق مما نحن فيه لأن ما نحن فيه هو عبارة عن خلل لابد أن يتم إصلاحه.

- **الشاهد:** أن هذا هو خوف الصحابة وحالهم في تحقيق العبودية لله جلَّ جلاله، فقد حققوا العبودية على أكمل وجه، فكانوا نموذج تعجز عن تقليده العقول.

- **الاستقامة خاضعة للأمر لا تابعة للهوى**

_قال الله سبحانه لنبيه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112)﴾[هود]

_قال الرب لنبيه ﷺ فاستقم كما أُمرت ولم يقُل كما أردت.

_إذن الاستقامة ليست أمرًا اختياريًا ولا تكون وفق الهوى، بل أن كل كلمة وكل حركة وكل طاعة تكون وفق ما أمر الله عز وجل وليس كما تأمره نفسه أو هواه أو كما يأمره الوسط الذي يعيش فيه

_أكثر المسلمين الآن بما في ذلك الكثير من الملتزمين والملتزمات استقاموا كما أرادوا لا كما أُمروا، ومكمن الخطر وأعظم ما في الموضوع أن استقامتنا جاءت وفق الإرادة وليست وفق الأمر.

– وهذا بدوره تكمُن فيه جزئية خطيرة وهي: أخص خصائص الملك **(التشريع)**.

فالله عز وجل له أسماء وصفات، وعباده لهم أسماء و صفات، وقد يشترك العبد مع الرب في الاسم (رحيم_كريم _حليم)، والله سبحانه يرحم والعباد يرحمون مع وجود الاختلاف بين صفة رحمة الله ورحمة العبد وبين أثر رحمة الله وأثر رحمة العبد، وأيضًا الله هو الملك وهناك في الأرض ملوك، وإنما الله سبحانه هو الذي يُشرع، فهل هناك من العباد مَن يُشرع؟ (لا) حتى لو كان ذلك على قدر بشريته،

إذن أخص خصائص الملك والتي لا يُشاركه فيها أحد هي التشريع، فنشترك في مسمى الصفات ولكن أثرها على قدر بشريتنا(فنرحم على قدر بشريتنا، ويرحم الله رحمة تليق بكماله وجماله وكذا الكرم وكل صفة يمكن أن يشترك في مُسماها الخالق والمخلوق مع الوضع مع الاعتقاد أنه سبحانه (ليس كمثله شيء)، ولكن لا يجوز أن نُشرِّع ولو كان الأمر على قدر بشريتنا،

_أخص خصائص الملك إذا شاركه أحدٌ فيها فإنه يشتد غضبه.

_ولذلك قال: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ وينطبق هذا الكلام على النبي ﷺ فلا يجوز له أن يُشرع.

– **يسأل سائل** إذا كان الكلام في عدم جواز التشريع من قِبل البشر يشمل النبي ﷺ أيضًا فما معنى الأمر والنهي الواردان في السنة؟

إنها وحيٌ من الله عز وجل، فهي أوامر من الله، وليست وفق هوى النبيﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)﴾[النجم].

وإذا كان رسول الله ﷺ لا يجوز له أن يُشرع فهل نُجيز ذلك لأنفسنا؟

المسلمون اليوم يُشرِّعون لأنفسهم، حجاب المرأة اليوم له أكثر من خمسين شكل، فكل واحدة شرَّعت لنفسها حجاب يتوافق مع هواها، وكذا هناك العديد من الطُرق التي تُقام بها الصلاة ومئات الطُرق التي يذكرون بها الله على غير هدي النبي ﷺ، فمن أين جاءوا بهذه الطُرق،

_فالكثير من المسلمين اليوم يسيرون وفق شرع صنعوه لأنفسهم،

_بمعنى: أننا نرى اليوم مَن استقام كما أراد فرأى أنه من الممكن أن يُصلي ويصوم ويذهب لأداء العمرة إلى جانب بعض الطاعات فإذا ما انتهى من هذه الطاعات كان حُرًا فيفعل في باقي وقته ما يحلو له(في حرامٍ أو في حلال لا مانع) وحجته أننا في زمن الفتن وتقوى الله تكون بقدر الاستطاعة

_ومَن يخرج عن الاستقامة التي أمر بها الله فإنه سيقع في محاذير لا يعلمها إلا رب العالمين.

– ولكن ما هو السبب الذي جعل البعض يُشاركون ملك الملوك في التشريع؟

السبب في ذلك يرجع إلى ضعف الخوف أو انعدامه بالكلية، ولو اكتمل الخوف في القلب مع الحب لما استطاع الإنسان أن يُشرِّع أو أن يتعدى حدود الملك، فيأمره الملك ويقوم هو بتنحية تلك الأوامر ويسير وفق هواه وما يتناسب مع مجتمعه الذي يعيش فيه.

2- مخالفة أمر النبي ﷺ:

وهو من أعظم الأسباب أيضًا التي تؤدي إلى الانتكاس، فالآيات القرآنية بينات ولكن القرآن الآن لا يقرأه الكثيرون ومَن يقرأه يمر على الآيات من غير تدبر للمعاني كما أنه لا يقف عند الأوامر والنواهي ليفقه عن الله سبحانه.

قال جلَّ ذكره في محكم التنزيل: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63)﴾[النور]

يقول ابن كثير: أي : فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنا أو ظاهرا أن تصيبهم فتنة : أي : في قلوبهم ، من كفر أو نفاق أو بدعة ،

أو يصيبهم عذاب أليم : أي : في الدنيا ، بقتل ، أو حد ، أو حبس ، أو نحو ذلك.

فمَن يُخالف أمر النبي ﷺ تُصيبه فتنة، قد تكون **كفر** (مَن يرتد ويُلحد الآن) لماذا ألحد هؤلاء؟ لأنهم خالفوا أمر النبي ﷺ فأصابتهم الفتنة (الكفر).

ـأو نفاق: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (142) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (143)﴾ [النساء]

هؤلاء لهم صورة معينة يظهرون بها أمام الناس أما فيما بينهم وبين الله فلهم صورة أخرى مخالفة لذلك.

_أو بدعة: فيكون هذا الصنف مقيم على البدع ومهما سمع من الحق فإنه لا يرجع عن ضلاله وبدعته التي هو مقيم عليها.

– مثال: لو أن عالمًا من العلماء الموجودين الآن أصدر كتابًا ثم جاءه شخص وقال له يا شيخنا: لقد قرأت كتابك ووجدته قد خالف منهج السلف وأن هناك من الأدلة الواردة عن الصحابة والتابعين والأئمة من العلماء تقول بعكسه، وليس هذا فقط بل أن هناك أيضًا من الخلف الأئمة المعاصرين مَن يقول بعكس ما تقول، فالكل من السلف والخلف أجمع على خطأ ما تقوله، فهل يجوز إذا كان لدى هذا الشيخ ذرة من التجرد أن يرفض قراءة كل هذه الأدلة ويلقي بها وراء ظهره ، لو فعل هذا لكان بذلك متبعًا لهواه وهذا بدوره يدخل تحت قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

وهذا الشيخ إذا رفض كل ما قيل له وظل ثابتًا على أقواله من غير حتى أن يتأكد من الأدلة فستصيبه الفتنة عاجلًا أو آجلًا، فتنة تصيبه فيظل على بدعته إلى أن يلقى الله بها،

– **فلننتبه:**

لأن الانتكاس يكون ظاهرًا وباطنًا، وانتكاس الظاهر لا يمكن أن يحدُث إلا بعد انتكاس الباطن لا جدال في ذلك، فمن المستحيل أن يقع انتكاس الظاهر إلا بعدما يكون الشخص قد انتكس مِرارًا في الباطن وكذا في أقواله وأفعاله، ولكن الرب حليمٌ سِتْير لا يفضح عبده إذا وقع في الذنب من أول

مرة فقد قال جلَّ ذِكره: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (55)﴾ [الزخرف]

– مثال: الأخ ملتحي ولكنه مُتجرأ على الله بالغيبة والمعصية، ويشاهد التلفاز، ويُنافق مَن حوله والحجة أن المجتمع يحتاج العيش فيه إلى ذلك، ويأخذ أموال الناس بالباطل والحجة أنه ممن يجمعون الأموال للزكاوات إذن فينطبق عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (60)﴾[التوبة]

_هذا الشخص نراه فجأة حلق لحيته وقد يكون من الدُعاة إلى الله فيتوقف عن الدعوة ويتراجع تراجع رهيب فيتعجب مَن حوله ويتساءل لماذا يحدث له ذلك؟ لقد سبق انتكاس الباطن انتكاسه في الظاهر ولكنه لم يكن مشاهد ممن حوله، فما يرونه هو الصورة الظاهرة فقط حلق لحيه أو خلع نقاب أو توقف عن الدعوة وقد يصل الأمر إلى التحول إلى النقيض تمامًا، لقد كان الرب سِتْير يستر عبده كي يعود،

_فإذا قيل يمكن أن يكون غير عالم بحقيقة ذنبه؟ من المستحيل أن يؤاخذ الرب عبده بذنب وهو غير مدرك أنه يُذنب، لقد جاءه الحق وسمع وسأل وقيل له أن هذا ذنب ولا يجب الاستمرار فيه بل لابد من توبة ولكنه أصر واتبع هواه فاستمر في مسعاه، وبالتالي حدث انتكاس الظاهر الذي لم يحدث فجأة كما يظن البعض ولكن سبقه انتكاس في الباطن،

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (46)﴾[فصلت]

_وما ربك بظلام للعبيد ولكنه هو الستير، يحلُم على عبده أو أمته مرة ومرات وسنين(خمسة وعشرون عامًا في المثال السابق) نعم كل هذه السنوات يحلم على عبده لعله يتوب ويعود، فقد كان خلال هذه السنوات تزل قدمه ثم يقوم بعمل الخير مرة أخرى وهكذا إلى أن اشتدت معصيته وهنا ينزل عقاب الملك لأنه هو العزيز القوي ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12)﴾ [البروج] والإنسان لا يعلم متى يؤخذ،

_الأطباء يقولون أن : التدخين من الأسباب المؤدية إلى الإصابة بمرض السرطان ونحن نعلم أن هناك أعداد كبيرة تدخن فهل أصيب كل المدخنين بهذا المرض، مَن أصيب بالمرض أصيب لحكمة يعلمها الله عز وجل، وكذا العاصي القائم على معاصيه فهو مُتجرأ على الله بتلك المعاصي في الخلوات، فهو يأتي لحضور دروس العلم ولكنه لا يعمل، فيسمع ولا يُجيب، ويعلم جيدًا أن هذا حرام ولا يُرضي الله ولكنه مُصِر على فعله، والرب حليم لا يُعاجل العبد بالعقوبة، فهو يحلُم ويُمهِل ويُعطي الفرصة (وهو قائم على المعاصي) ويرسل إليه مَن يُسْمِعَه النصيحة(وهذا هو عطاء الكريم المنان ورحمة الرحيم الرحمن) عسى أن يرجع ويتوب ولكنه يُصِر على الاستمرار في المعصية ولهذا نرى مَن يلتزم ويظل على التزامه هذا سنوات وسنوات ثم ينسلخ من التزامه هذا بالكلية.

_الناظرين إلى المشهد من ضُعفاء العقول والقلوب يتساءلون: لقد كان الرجل ملتزم وعلى خير فلماذا حدث له ذلك؟

_أنتم ترون الظاهر فهل اطلعتم على حاله فيما بينه وبين ربه ؟

_هل علمتم منهجه من أين أتى به؟ هل علمتم حاله في خلواته؟

ذنوب الخلوات تستوجب أشد العقوبات

_إياكم أن تتهموا ربكم، لأن ذنوب الخلوات عند الله سبحانه وتعالى من أعظم الأمور وبسببها يُنزل الرب سبحانه أشد العقوبات لماذا؟

_لأن العبد إذا خلى بنفسه فعصى الله عز وجل فإن هذا هو منتهى التجرُّؤ على الله عز وجل،

_لأن المعصية في الخلوة تعني: أن رؤية الخالق للعبد وهو يعصي أهون عليه من رؤية المخلوق له، وبتالي فإن المخلوق عند العاصي أعظم من الخالق، وإن لم يقُل ذلك بلسانه إلا أن حاله يقول ذلك.

_والدليل أنه أمام المخلوقين لا يستطيع أن يعمل هذه المعاصي، فأين الخوف وأين الحب بل أين الوقار: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13)﴾[نوح]

لقد انعدم الخوف وانعدم الحب وبانعدامهما انعدم ركني العبودية وسقط الإيمان من السماء إلى الأرض فانتكس العبد وتحول من الملتزم المتقي الملتحي الداعي إلى الله إلى العكس تمامًا.

_إياكم أن تتصوروا أنه إذا حدث الخلل في ركني العبودية ومخالفة أمر رسول اللهﷺ ويظل العبد على ما هو فيه.

3- وقد يكون الوقوع في الشبهات.

شخص آخر يمكن أن يقع أيضًا ولكنه لا يفعل ما سبق أن قلناه قبل ذلك (فلا غيبة ولا نميمة _ولا أخذ لأموال بالباطل _ولا شهوات) فما سبب سقوطه؟ الوقوع هنا سببه الشُبهات، فقد يكون لديه شبهات في الاعتقاد

ولكنه لم يبحث ليتعلم، وعندما أتاه الحق لم يتبعه، وأصر على عناده واتبع هواه، فيؤذن له بعد مُضي أعوام أن يسقط ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ﴾، ولا يعتقد أحد أن أصحاب الشبهات غير مدركين للحق، لقد سمعوا الحق مرارًا وتكرارًا، واليوم نسمع عن سقوط أحد الدُعاة وقد كان يدع إلى الله من سنوات وسنوات وانصلح على يديه رجال ونساء، هذا لم ينتكس بسبب الشهوات ولكن كانت لديه شبهات ولقد سبق أن نصحه علماء السنة كثيرًا ولكنه لم يسمع لهم، فعلماء السنة غير مُقصِّرين، والله عز وجل قَيَّد لهذا الدين مَن يحفظه إذا حدث أي خلل عند أي داعي.

_قال تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15)﴾[الإسراء]

فمن المستحيل أن يُعذب الله أحدًا إلا بعد إقامة الحجة عليه.

_لا يظُن أحد أنه بمجرد عصيانه تنزل عليه العقوبة لأن الرب يُمهِل ويمهل ، فالانتكاس لابد أن يبدأ بالباطن ثم يعقبه الظاهر، فلا يظن أحد أن انتكاس الظاهر جاء فجأة لأن الإيمان لا يأتي في يوم كما أنه لا يذهب في ليلة ولكن قد يؤخذ العبد في لحظة.

الإنسان المنتكس في الباطن لديه حالة من عدم الرضا عن ربه وهو ما يأخذنا إلى السبب الرابع من أسباب الانتكاس وهو.

4- من أسباب الانتكاس (المَنْ).

_قال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6)﴾[المدثر]

هناك أقوال كثيرة لأهل العلم في الآية منها:

- **قول الإمام الطبري:** لا تمُن بعملك على ربك.

والخطاب للنبي ﷺ يعني أنه خطاب للأمة، وليس المقصود بأي خطاب للنبي ﷺ أن يَتَلبَّس بهذا الفعل حاشاه ولكن خطاب النبي ﷺ يعني أن مَن هو دونه أولى،

_فالبعض ممن يتوب ويعود إلى الله سبحانه تغيب عنه بعض المفاهيم (فالعمل بكسب الإنسان ولكن التوفيق إليه يكون برحمة الله) إذن هناك كسب وهناك رحمة، الكسب من العبد والرحمة من الله، فإن لم يتغمده برحمته فلن يُيسر له اكتساب الأعمال،

_فأصل العمل هو التوفيق برحمة الله إليه (والمُن عليه به) ولكن سعي الإنسان هو كسبه

_وأي شخص يلتزم ويدخل في الدين يمكن أن يُضحي من أجل السير على الصراط المستقيم (صاحب مال وجد أن سبيل اكتسابه حرام فتركه_امرأة جميلة ارتدت النقاب_رجل صاحب منصب ومكانة ووجد أنه يتعارض مع أوامر الله فتركه حتى لا يُغضب الله)

_فيحدث بعد الترك لله (الاختبار والابتلاء) يأتي الضغط، لقد ترك منصبه إرضاءً لله فجلس في بيته فلم يجد المال ليُنفق منه فما الذي يحدث في هذه الحالة؟ إذا كان الشخص ممن لم يفهم عن الله يحصل له نوع من المَنْ، وكأنه يريد أن يقول لله سبحانه لقد تركت من أجلك فأين العِوض ألم يقل

النبي ﷺ (من ترك شيء من أجل الله عوضه خيرًا منه) فهو منتظِر العوض(الثمن)،

_هذا الشخص لم يفهم أي شيء وهنا تأتيه العقوبة لا العوض، لأنه يَمُنَّ على ربه بعمله، إن الله عز وجل هو الذي يمن على عباده أن هداهم للإسلام، لقد مَن على هذا الشخص بأن وفقه إلى ترك العمل الحرام، وكان المفروض على هذا الشخص أن يظل شاكرًا لربه مُستشعِرًا بتقصيره وبعدم استحقاقه لهذا الفضل ألأتيه من ربه

قال الله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (58)﴾[التوبة]

وقال جلَّ ثناؤه : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11)﴾[الحج]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} [الحج: 11] قَالَ: " كَانَ الرَّجُلُ يَقْدَمُ المَدِينَةَ، فَإِنْ وَلَدَتِ امْرَأَتُهُ غُلاَمًا، وَنُتِجَتْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينٌ صَالِحٌ، وَإِنْ لَمْ تَلِدِ امْرَأَتُهُ وَلَمْ تُنْتَجْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينُ سُوءٍ" أخرجه البخاري(4742).

هذا علَّق طاعته على العطاء فإن أُعطي رضي وإن لم يُعط سخط

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»، وَقَالَ [ص:35]: فَتَعْسًا: كَأَنَّهُ يَقُولُ: فَأَتْعَسَهُمُ اللَّهُ، طُوبَى: فُعْلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ،" **أخرجه البخاري(2887)**

لقد عبد الدرهم من دون الله، فإن وجد المال فسيظل سائرًا على الطريق فإن لم يأتيه تراجع، لأنه يرى أنه لم يُعَوَض، وليس شرطًا أن ينطق لسانه بهذا ولكن يكفي أن قلبه مُختلج مُضطرب لم يرسخ فيه الإيمان فشك في عطاء الله وموعوده وموعود رسوله ﷺ،

_الاختبار يأتي لحظة الشعور بالمن، فلابد من الشعور بأن الترك جاء بتوفيق الله سبحانه، وعليه أن يحمد لله أن وفقه إلى ترك المعصية لأنه لو مات عليها لعُذِّب، لقد وفقه الله واصطفاه واجتباه وأخرجه من مستنقع المعاصي والذنوب ووضعه على الطريق ويسر له الأمر، هل بعد كل هذا يجوز للإنسان أن يمن على ربه (لأنه يُعاني من ضائقة مالية_أو لأن الولد توفاه الله_أو أنه تعرض لأي مشكلة).

_نحن عبيد عند الله سبحانه يبتلينا بالمحن والنعم وعلينا أن نحمده في كل الأحوال، فالعبد ليس له من الأمر شيء فإن أعطاه الله فعليه أن يحمده على فضله ورحمته في العطاء وإن منعه الله فيُرجع ذلك أيضًا إلى حكمته في المنع، ويكفيه شرفًا وفخرًا أنه لم يطرده من عتبة العبودية بعد كل ما اقترفته يداه من المعاصي والذنوب، فمجرد قبول الله لعبده وتفضله ومنّه

عليه بالطاعة والتوبة والهداية هذه من أكبر النعم التي تستوجب الشكر إلى أن يلقى الله.

وكل من انتكس فانسلخ من عباءة الالتزام وعاد إلى ما كان فيه من ضلال لأي سبب دنيوي والله لم يفهم عن الله شيء ولا أحبه ولا أحب رسوله طرفة عين ولا خاف منه، لقد سبق انتكاسه في الظاهر انتكاس شديد في الباطن، لقد جاء الانتقام الشديد بل أشد أنواع الانتقام.

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الطرد من عتبة العبودية بعد أن كان في حظيرة الملك وفي كنف ملك الملوك، تلك أشد عقوبة لو كانوا يفقهون، ثم يعقُب هذه العقوبة عقوبة أخرى.

هي من أخطر ما يكون ألا وهي: المنافحة عن الباطل بالباطل.

فلم يتوقف الأمر عند التراجع والخروج من دائرة الالتزام بل تجاوز الأمر فبدأ هذا المنتكس في توجيه السباب واللعن إلى الملتزمين وإلى علماء الدين فالقصة ليست قضية ظاهر يراه الناس فيغتروا به بل القصة تكمن في حال العبد فيما بينه وبين ربه وهو في خلواته ماذا يفعل؟

شيء مُلاحظ على كل مَن انتكس وهو: يبدأ أول خطوة بتغيير الصورة الخارجية، فإن كان ملتحي فإنه يحلق لحيته وإن كانت منتقبة خلعت نقابها أو حجابها ثم يلي ذلك السب واللعن في الملتزمين وأهل الحق لماذا؟ لأنه يريد أن يُبرر لنفسه وللناس سبب انتكاسه وتلك هي طريقة أهل الباطل في كل زمان ومكان، فهي سنة لا تتغير عند أهل الباطل (الهجوم على أهل الحق)هذه عقوبة أخرى حتى يُضاعف لهم العذاب.

قال تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (90)﴾[البقرة]

غضب البُعد والطرد من حظيرة الملك ثم غضب السب واللعن في أهل السنة والصد عن سبيل الله فهل بعد ذلك عقوبة؟ نسأل الله السلامة، اللهم إذا أردت بنا الفتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك